

مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

طفق الرسول بطرس ينطق بعظائم الله. الأمر الذي حمل الثلاثة آلاف شخص على الانضمام إلى الجماعة المسيحية. بهذا اللسان أدخل الله البشرية في اللهب الإلهي لأن الكلمة محيية إذ تصير المياه ناراً تضيء في المعمودية، أي ان الروح القدس يصبح حياة شخصية لكل واحد. هذا الروح القدس الذي يجعل كلام الإنجيل ذا نسمة، كلاماً محرّكاً، ومحياً. وبالتالي يصبح المسيح المخلص الشخصي لكل

إنسان.

فهم الرسول بطرس أن الإنسان لا يحصل على الروح القدس إلا بالمعمودية لذلك قال لليهود والساكنين في

أورشليم: «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس» (أع ٢: ٣٨). هذا ما سبق فقّاهه الرب لتلاميذه: «... أما أنتم فستعتمدون بالروح القدس...» (أع ١: ٥). هذا ما يحصل للمعمد عندما ينزل في جرن المعمودية، فينال الروح القدس ويخلع الإنسان العتيق الفاسد ويلبس الإنسان الجديد المتجدد على صورة الله.

رب سائل لماذا أتعمد بالماء والروح القدس؟! إذا راجعنا الكتاب المقدس، نجد أنه منذ البدء حاول

العنصرة والمعمودية

حلّ الروح القدس على تلاميذ يسوع، بحسب رواية الإنجيلي لوقا في كتاب أعمال الرسل (١٢: ١-٢)، في اليوم الخمسين بعد الفصح فيما كان اليهود يحتفلون في هذا اليوم الخمسيني بذكرى إعطاء الشريعة - الوصايا العشر لموسى على جبل سيناء. هذا يدل على أن الروح القدس هو الناموس الجديد المعطى

للكنيسة عوضاً عن الشريعة اليهودية القديمة، وأن حلول الروح القدس على التلاميذ هو بداية عهد جديد.

لقد قال الرب قديماً على لسان النبي حزقيال:

«وأعطيكم قلباً جديداً وأجعل روحاً جديدة في داخلكم» (٣٦: ٢٦) وكذلك على لسان النبي يوشع: «ويكون بعد ذلك أني أسكبُ روحي على كل بشر...» (٢٨: ٢). هذا ما أكده الرب يسوع لتلاميذه: «... ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم...» (أع ١: ٨).

يوضح لنا نص رسالة اليوم أن السنة النار تظهر منقسمة وتستقر على كل واحد من التلاميذ بمفرده لينطلق للبشارة ابتداءً من أورشليم إلى أقاصي الأرض. بهذا اللسان

الرسالة

(أعمال الرسل ١: ٢-١١)

لَمَّا حَلَّ يَوْمَ الْخَمْسِينَ كَانَ الرَّسَلُ كُلُّهُمْ مَعاً فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ فَحَدَثَ بَغْتَةً صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ كَصَوْتِ رِيحٍ شَدِيدَةٍ تَعَسَفُ وَمَلَأَ كُلَّ الْبَيْتِ الَّذِي كَانُوا جَالِسِينَ فِيهِ وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مَتَقَسِّمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ فَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَامْتَلَأُوا كُلُّهُمْ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَطَفِقُوا يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُم الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا وَكَانَ فِي أُورُشَلِيمَ رِجَالٌ يَهُودٌ أَتَقِيَاءَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ فَلَمَّا صَارَ هَذَا الصَّوْتُ اجْتَمَعَ الْجُمْهُورُ فَتَحِيرُوا لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ كَانَ يَسْمَعُهُمْ يَنْطِقُونَ بِلُغَتِهِ فَدَهَشُوا جَمِيعُهُمْ وَتَعَجَّبُوا قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَيْسَ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمُونَ كُلُّهُمْ جَلِيلِيِّينَ فَكَيْفَ نَسْمَعُ كُلَّ مَنَّا لُغَتَهُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا نَحْنُ الْفَرْتِيِّينَ وَالْمَادِيِّينَ وَالْعِيلَامِيِّينَ وَسَكَانَ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَكِبَادُوكِيَّةِ وَبُنْتُسَ وَأَسِيَّةِ وَفَرِيجِيَّةِ وَمِمْفِيلِيَّةِ وَمِصْرَ

ونواحي ليبية عند القيروان والرومانيين المستوطنين* واليهود والدخلاء والكريتيين والعرب سمعهم ينطقون بالسنتنا بعضائم الله.

الإنجيل

(يوحنا ٣٧:٧-٥٢)

في اليوم الآخر العظيم من العيد كان يسوع واقفاً فصاح قائلاً إن عطش أحد فليأت إلي ويشرب* من أمن بي فكما قال الكتاب ستجري من بطنه أنهار ماء حي* (إنما قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزعمين أن يقلوه إذ لم يكن الروح القدس بعد. لأن يسوع لم يكن بعد قد مُجد) فكثيرون من الجمع لما سمعوا كلامه قالوا هذا بالحقيقة هو النبي. وقال آخرون هذا هو المسيح* وآخرون قالوا أعل المسيح من الجليل يأتي* ألم يقل الكتاب إنه من نسل داود من بيت لحم القرية حيث كان داود يأتي المسيح* فحدث شقاق بين الجمع من أجله* وكان قوم منهم يريدون أن يمسخوه ولكن لم يلق أحد عليه يداً فجاء الخدام إلى رؤساء الكهنة والفريسيين فقال هؤلاء لهم لم لم تأتوا به* فأجاب الخدام لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان* فأجابهم

كتاب سفر التكوين الملهمون إظهار المياه وكأنها خصبه وفيها حياة وترمز إلى حضور الروح القدس. «... وروح الله يرف على وجه المياه» (تكوين ١:٢). كما ان المياه تفجرت من الصخر أثناء رحلة الخروج «ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة في حوريب فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب» (خروج ١٧:٦). هذه الصورة هي دليل على المياه التي سوف تقاض بغزارة في أيام المسيح، وهي ترمز إلى الحياة الجديدة والخصب الروحي الذي لا ينضب، لذلك قال النبي اشعيا: «قد انفجرت في البرية مياه وأنهار في القفر» (٦:٣٥). أما النبي حزقيال فإنه يظهر جلياً علاقة المياه بالروح حين يقول: «وأرث عليكم ماء طاهراً فتطهرون من كل نجاستكم ومن كل أصنامكم أطهركم... وأجعل روحي في داخلكم» (حزقيال ٣٦: ٢٥-٢٧).

إذاً المياه ترمز إلى الروح، فتصبح المعمودية نزولاً في الروح القدس أي في حياة جديدة أساسها الروح القدس. هذا ما يؤكد القديس كيرلس الأورشليمي بقوله: «تجري المياه على الجسد من خارج، ولكن الروح القدس يعمد كليا النفس في الباطن». فالروح القدس يحضر في المعمودية ويعمل فيها. الإنسان الذي يستعد للنزول في جرن المعمودية لا ينظر إلى المياه كأنها مياه عادية إنما مياه تطهر الجسد وتغسل القلب بالروح القدس: «لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقي» (عبر ١٠:٢٢).

إذا الإنسان المسيحي يحصل بالمعمودية على عطية الروح القدس شخصياً «والرجاء لا يخزي لأن محبة الله قد انسكت في قلوبنا

بالروح القدس المعطى لنا» (رو ٥:٥)، فيسكن فيه الروح القدس وكأنه يسكن في هيكله: «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١ كور ٣:١٦). القديس كيرلس الإسكندري يشدد على هذا الحضور ويشرحه بأنه حضور حقيقي فعلي: «فالذين يؤمنون بالمسيح، يجعل الروح القدس فيهم مقامه لكي يسكن، وبكل حق يمكننا أن نناديهم هيكل الله». هذا هو الروح القدس نفسه الذي أعطاه الرب للرسول بعد قيامته: «ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس» (يو ٢٠:٢٢). كذلك فقد حصلوا عليه في العنصرة عندما اعتمدوا. هذا الروح يجمع المؤمنين في جسد واحد هو الكنيسة «لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد» (١ كور ١٢:١٣).

إذا دعوة الإنسان اليوم لا أن يصبح فقط عضواً في جسد المسيح بل أن يعيش عنصرته الشخصية ليصبح هيكلًا للروح القدس. فالإنسان المسيحي الحق هو الذي يثمر بالروح القدس الساكن فيه حياً وتواضعاً حقيقياً ووداعة وتعففاً: «أما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف» (غلا ٥:٢٢-٢٣).

الروح القدس

«أيها الملك السماوي، المعزي، روح الحق الحاضر في كل مكان وصقح، والمالئ الكل. كنز الصالحات ورازق الحياة، هلم واسكن فينا وطهرنا من كل دنس وخلص أيها الصالح نفوسنا».

تشكل صلاة استدعاء الروح القدس هذه، والتي نستهل بها كل صلاة في طقوسنا الليتورجية، فحوى الموقف الأرثوذكسي تجاه

الفريسيون ألعلمكم أنتم أيضاً قد ضللتكم* هل أحد من الرؤساء أو من الفريسيين آمن به* أمّا هؤلاء الجمع الذين لا يعرفون الناموس فهم ملعونون* فقال لهم نيقوديمس الذي كان قد جاء إليه ليلاً وهو واحد منهم* العلة ناموسنا يدين إنساناً إن لم يسمع منه أولاً ويعلم ما فعل* أجابوا وقالوا له ألعلك أنت أيضاً من الجليل. إبحث وانظر إنه لم يقم نبي من الجليل* ثم كلمهم أيضاً يسوع قائلاً أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمسي في الظلام بل يكون له نور الحياة.

تأمل

ينبتق الروح القدس من الأب الأزلي الذي لا بدء له، وهو مع الأب والابن في عدم البداية. ليس بلا ابتداء كأقنوم الأب لأن أصل الروح القدس وبداءته وعلته هو الأب. انبتق منه قبل كل الدهور، ولا ينفصل عن الأب والابن، لأنه يأتي من الأب، ويستريح في الابن، متحدًا معهما بدون امتزاج، ومميزًا عنهما بدون انقسام. إله من إله، أقنوم مستقل مقدس، إله ومعز. وجوده من الأب، وهو مرسل من الابن لبداية حياة أبدية كعربون للخيرات المستقبلية. هو سبب

الروح القدس الذي هو الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس. يشكل الروح القدس المركزية الأساسية في صلواتنا جميعها، فهو المكمل والمحول والمقدس جميع الأمور، وهو هدف حياتنا. القديس سيرافيم ساروفسكي يقول ان هدف الحياة المسيحية هو «اكتساب الروح القدس».

لا بد لنا أن نتساءل من هو الروح القدس؟ سوف نحاول الإجابة رغم قناعتنا وإيماننا مع القديس باسيلوس الكبير بأنه يستحيل إعطاء تعريف محدد لأقنوم الروح القدس.

حسب التعاليم اللاهوتية والآبائية الأرثوذكسية، يعرف الروح القدس بأنه:

+ ليس مجرد «قوة إلهية» أو «عاصفة إلهية» أو «قوة غير مدركة»، بل هو أقنوم حقيقي وهو العضو الثالث من الثالوث الأقدس. «فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الأب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد» (يو ١٥: ٧).

+ هو منبتق من الأب «ومتى جاء المعز الذي سأرسله أنا إليكم من الأب، روح الحق الذي من عند الأب ينبثق، فهو يشهد لي» (يو ١٥: ٢٦).

+ وأخيراً، هو مساو في الأزلية وفي الجوهر للأب وللابن (لكن لكل منهم خاصته الأقمومية: الأب عدم الولادة والصدور، الابن الولادة، الروح القدس الانبتاق) وهو متعلق بالأب والابن من حيث الوحدة والتماهي في الطبيعة، وكأقنوم هو دائماً فاعل ومشارك في كل عمل إلهي وخلاصي: الخلق، الخلاص، إعادة خلق الإنسان المحقق في الكنيسة وغيرها. حسب الآباء حيث الابن هناك الأب والروح وحيث الروح هناك الأب والابن، ولكن مساهمة كل

من الأقانيم الثلاثة الإلهية في سر التدبير تحمل خصائصها الخاصة.

+ مهمة الروح القدس:

مهمة الروح القدس ليست إعلان نفسه في طريقة واضحة للمفهوم البشري، ولكن إعلان الابن الذي به صار الكل، والذي هو معروف شخصياً في بشريته بـ«يسوع المسيح». فيسوع قبل آلامه وقيامته وعد بإرسال المعزي: «خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي» (يو ١٦: ٧)، «وأنا أطلب من الأب فيعطيك معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد» (يو ١٤: ١٦) وهذا المعزي «الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم» (يو ١٤: ٢٦) و«متى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب، روح الحق الذي من عند الأب ينبثق، فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الإبتداء» (يو ١٥: ٢٦-٢٧).

ما يجب أن نتذكره دائماً أن الروح القدس لا يأتي بحقيقة جديدة عن يسوع المسيح بل الحقيقة نفسها: «وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية. ذلك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم. كل ما للأب هو لي. لهذا قلت إنه يأخذ مما لي ويخبركم» (يو ١٦: ١٣-١٥). إذا مهمة أقنوم الروح القدس هي إظهار، عبر علاقة شخصية ثالوثية، كلمة الله في الخليقة وكل تاريخ الخلاص. لأنه «ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس» (١ كور ١٢: ٣).

عبر الروح تتقدس الخليقة كلها وتتحقق الأسرار. يسوع أسس الكنيسة لكنها لم تصر حقيقة واقعة إلا في العنصرة، يوم انحدر الروح القدس على التلاميذ بشكل ألسنة نارية.

الخلائِق كُلِّها، لأنَّه فيه صارت كُلِّها مع عمل الآب والابن. هو مفترق عنهما كأقنوم، منبثق من الآب من حيث عدم الولادة (أقنوم الآب) ومن حيث الولادة (أقنوم الابن). أرسله الابن إلى تلاميذه، أي ظهر لهم، إنَّ كيف يرسل وهو الحاضر في كلِّ مكان ولا ينفصل عن مرسله؟ ممَّا يدلُّ على أنَّه ليس مُرسلاً من الابن فقط، بل من الآب أيضاً، ومن نفسه.

لا يظهر الروحُ القدس بحسب الجوهر، إنَّ لم يرَ أحدٌ طبيعة الله، بل يظهر بحسب النعمة والقوَّة والطاقة التي هي مشتركة للآب وللإبن وللروح القدس. فالأقنوم وما يختصُّ به خاص بكلِّ واحد، أمَّا ما هو مشترك فليس فقط الجوهر غير المنظور وغير المشارك فيه، بل أيضاً النعمة والقوَّة واللمعان وعدم الفساد والمُلك وكلِّ ما هو مشترك بالنعمة بين الله والملائكة القديسين والبشر دون أن يسقط عن وحدته وبساطته كما أيضاً لا يسقط عن وحدته بسبب افتراق الأقانيم ولا بسبب تنوع القوى الإلهية.

هكذا نؤمن بإله واحد، وبألوهة واحدة كلية القدرة في ثلاثة أقانيم، ونركز بأولئك القديسين الذين بإيمانهم هذا أرضوا الله، بينما نرفض كلَّ الذين لا يؤمنون بذلك.

القديس غريغوريوس بالاماس

الآب يعمل بالإبن في الروح القدس. القديس باسيليوس الكبير يقول: الآب يخلق بالإبن ويكمل بالروح القدس. مهمة التكميل هي التقديس، تقديس البشر والطبيعة. صعد الرب ولكنه لم يتركنا يتامى، بل أرسل روحه لكي يقودنا حتى مجيئه في يوم الدينونة. نرتل في سحر العنصرة: «ان الروح القدس كان دائماً وهو كائن ويكون، لأن ليس له ابتداء، ولا له بالكلية انتهاء، ولكنه لم يزل منتظماً مع الآب والإبن ومعدوداً حياة ومحييا، نوراً ومانحاً الضياء، صالحاً بالطبع وللصلاح ينبوعاً، الذي به يُعرف الآب ويُمجَّد الإبن ويُفهم من الكل: ان قوة واحدة، ورتبة واحدة، وسجدة واحدة، للثالوث المقدس».

+ معرفة الروح القدس:

كل هذا الحديث يبقى مجرد تعريفات نظرية إن لم نتعرف فعلياً على الروح القدس ونختبره، لأنَّ خبرة الروح هي المعرفة الحقَّة له. فالأمر يختلف عما هو مع الإبن، حيث الأمور مقربة للعقل البشري أكثر، مثل العلاقة مع الآب. نحن نقول ان الروح منبثق من الآب، أمَّا الإبن فمولود من الآب. عندما سئل الآباء عن الفرق بين الولادة والانبثاق، لم يكن لديهم جواباً لأنَّ الأمر غامض في كلا الأمرين. إلا ان موضوع الولادة يظل أقرب إلى العقل البشري وأسهل بالنسبة لنا كبشر لأنَّه قد يعني شيئاً مفهوماً لدينا. بينما الانبثاق لا أحد قادر على تصويره فيبقى الأمر سرياً مخفياً عن العقل البشري. القديس غريغوريوس اللاهوتي يرفض أي محاولة لتعريف انبثاق الروح القدس بشكل منطقي ويتساءل إذا كان أحد قادراً على شرح عدم ولادة الآب وولادة الإبن من الآب لكي يشرح لنا انبثاق الروح. لقد عرفنا يسوع المسيح من خلال

سر التجسد، ولكن الروح لم يظهر متجسداً كما يسوع. شخصه (أقنومه) الإلهي لم يُعلن للبشر على شكل إنسان. نحن نتعرف على أشياء عن المسيح، عن تعاليمه وأعماله من خلال الأناجيل والرسائل والكنيسة. وتكون معرفتنا هذه تدريجية تنتهي بالوصول إلى شركة معه. مع الروح القدس الأمر معكوس فلا يوجد شيء نعرفه عنه سوى خبرة وشهادة أولئك الذين عرفوه واختبروه وكانوا في شركة معه، وهي لا تعني لنا شيئاً ما لم نختبرها. معرفتنا هي نعمة وخبرة. رغم إيماننا اننا لا نعرف يسوع المسيح إلا بالروح القدس.

لا نعرف الروح إلا عن طريق حضوره فينا (النعمة)، يتجلى في فرح وسلام وكمال، وهذه لا يمكن وصفها. هي لحظات ملأى بالحياة حسب الآب الكسندر شميان الذي يقول ان الروح القدس هو تحقيق السعادة الداخلية التي ليس لها علة أو سبب خارجي، لكنها تحوّل كل شيء إلى فرح. لأنه هو نفسه الحياة والفرح والسلام والجمال. وفي نفس السياق يتحدث بولس الرسول عن ثمار الروح فيقول: «أمَّا ثمرُ الروح فهو محبة، فرح، سلام، طولُ أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف» (غلا ٥: ٢٢). هو يجعل الحياة حياة والفرح فرحاً والمحبة محبةً والجمال جمالاً. يجعل الخليقة كلها رمزاً وسراً لحضوره. الروح القدس لم يتجسد لذا لا أيقونة له، ولكن كل شيء يصير أيقونة عندما يأتي ويكون حاضراً فينا ونختبره.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb